التنصير

في البلاد الإسلامية

أهدافه
ميادينه
آثاره

تأليف
الدكتور محمد بن ناصر الشثري

دار الحبيب

التبشير

في

البلاد الإسلامية

الطبعة الأولى

١٤١٨هـ / ١٩٩٨م

دار الحبيب - ص.ب : ٨٥٣٠ - هاتف المكتبة : ٥٧٨٠
الرياض
الإدارة : ٤٨٢٥٤٨٥

التنصير في البلاد الإسلامية

أهدافه - ميادينه - آثاره

تأليف

الدكتور محمد بن ناصر الشثري

دار الحبيب

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾(١).

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد...

فإن النصارى يعتقدون معتقدات لا وجود لها في كتبهم ويتعبدون بشعائر وطقوس لا أثر لها في تلك الكتب، بل ولا يوجد لها مسوغ من عقل أو نقل.

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٦٤.

ونحن نتحداهم بأن يشيروا إلى الكتب التي فيها أمر بالسجود للصليب والصور والتماثيل وبتحويل القبلة من بيت المقدس إلى مشرق الشمس وأن يدلونا على من فرض عليهم بدعة الأحد ومن الذي أبطل الختان؟ ومن الذي حرم عليهم تعدد الزوجات؟ وفي أي الكتب ذُكِرَ أن المسيح صلوات الله وسلامه عليه - ثالث ثلاثة - أو أنه منقسم إلى طبيعتين لاهوتية وناسوتية؟ وأي الكتب جعلت أوامر البابا كأوامر الله؟ ومن الذي أباح لهم لحم الخنزير والخمر؟ ومن الذي أعطاهم حق مغفرة الخطايا وإصدار صكوك الغفران والحرمان؟ ولماذا يمنعون الناس من تفسير كتبهم التي يزعمون أنها مقدسة؟ لعلهم يخشون أن يكشف الناس ما فيها من لغو وهذيان وظلمات فوق ظلمات.

إن علماء النصرانية يقرون بأن الأناجيل الأربعة المتداولة قد تم اختيارها من بين حوالي مائة إنجيل كانت منتشرة بين النصارى في القرن الرابع الميلادي.

ومن المعلوم بالضرورة أن عيسى عليه السلام قد أتى بإنجيل واحد. لكن تناقض تلك الأناجيل الأربعة المذكورة وانقطاع سندها وافتقارها إلى أبسط شروط التواتر بالإضافة إلى ركاكة ألفاظها وغموض معانيها كل ذلك يؤكد زيفها وتحريفها وأنها من غير شك غير مطابقة للإنجيل الذي جاء به عيسى عليه السلام.

أركان النصرانية:

أركان النصرانية خمسة هي: التعميد والتثليث وأن الابن أقنوم التحم بمريم ثم القربان المقدس وأخيراً الاعتراف للقس. والنصراني يكفيه أن يؤمن بهذه الأركان الخمسة ثم ليفعل بعدها ما شاء لأن الاعتراف للقس قد يكفل له بمغفرة الخطايا ودخول الملكوت الأعلى بغير حساب ولا عقاب. والاعتراف للقس من أغرب طقوس هذه الديانة فمصير كل نصراني متأرجح بين شفتي قس إن شاء حرر له صك غفران أو يصدر في حقه قرار حرمان.

وقد ترتب على هذه المهزلة أن انتشرت

(موضة) بيع الجنة بالصكوك ووجد فيها البابوات سوقاً رائجاً للنصب على البسطاء والمغفلين.

فكفى للإسلام فخراً أن مغفرة الله للإنسان لا تتوقف على وسيلة من الوسائل مهما عظمت وإنما تتوقف رحمة الله ومغفرته على توبة الإنسان توبة صادقة. قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾﴾[1].

إن تعاليم المسيح ضاعت لسوء استغلال الكنيسة لها ولأنها احتكرت المسيح كما تحتكر أي شركة تجارية أي صنف من البضائع وصار المسيح أسير الكنائس والأدهى من ذلك كله اعتقادهم بأن عيسى عليه السلام قد دخل جهنم ولا تفسير لذلك إلا أنهم يعيشون في ظلام وأوهام وصدق الله

(١) سورة الزمر: الأية ٥٣.

العظيم القائل: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾[١].

وقال رسول الله ﷺ[٢]:

«أنا أولى الناس بعيسى بن مريم في الدنيا والآخرة ليس بيني وبينه نبي والأنبياء إخوة لعلات، أمهاتم شتى ودينهم واحد»[٣].

التنصير وأقسامه:

لقد اهتمت الكنيسة بتوجيه جهودها إلى التبشير بالمسيحية في العالم الإسلامي في القرون الأخيرة لتقتلع الإسلام من نفوس الناس وتحل المسيحية محله. وهذا يطلق عليه بعض النصارى «حملات التنصير» وهي تهدف إلى نقل المسلم من

---

(١) سورة النور: الآية ٤٠.

(٢) أخرجه البخاري (٦/ ٤٧٨ رقم ٣٤٤٣)، ومسلم (٤/ ١٨٣٧ رقم ٢٣٦٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) معاول الهدم والتدمير، سليمان الجبهان، ص٥١ ـ ٦٧ ـ ٦٨.

دين محمد (ﷺ)؟ إلى تعاليم المسيح لأن الإسلام لما انبسط في العصور الوسطى أقام سداً في وجه النصرانية ثم امتد إلى البلاد التي كانت خاضعة لصولجان المسيحية.

لقد علم النصارى أن الغزو المادي المسلح لبلاد المسلمين أمر ليس باليسير. علموا ذلك من بسالة الأبطال المسلمين الذين صمدوا أمام الحملات الصليبية إلى أن كتب الله عليها الجلاء.

ثم أرسل مدبرو الحرب الصليبية عيونهم إلى البلاد الإسلامية وبثوا جواسيسهم ليتحسسوا واقع المسلمين ويتخذوا لهم من داخل البلاد أعواناً وقد ظفروا من ذلك بنصيب كبير تصيدوه من أهل الذمة ومن الطوائف والفرق المنحرفة وبناء عليه قرروا تحويل الحرب مع المسلمين من حرب سافرة مسلحة تعيد المسلم لدينه إلى حرب مقنعة يدخل في حسابها الغزو الفكري والنفسي والخلقي حتى إذا تم للغازي الاحتلال الفكري والنفسي كانت ضحيته مركباً ذلولاً ومرتعاً سهلاً يفعل به ما يريد.

وانتهى المخططون إلى أن وضعوا لأنفسهم

القاعدة التالية: «إذا أرهبك سلاح عدوك فأفسد فكره ينتحر به».

وهذا الغزو الفكري والخلقي الجديد قد اتخذ ثلاث صور هي:

أ ـ التبشير.

ب ـ الاستشراق.

جـ ـ الاستعمار.

وسوف نخصص لكل منها باباً يشتمل على ثلاثة فصول:

١ ـ الفصل الأول: التعريف بكل حملة من الحملات الثلاث.

٢ ـ الفصل الثاني: أهدافها ووسائل تحقيق تلك الأهداف.

٣ ـ الفصل الثالث: ميادينه وآثاره. ونقصد بميادينه البلدان التي ظهر فيها نشاطه.

الباب الأول

التبشير

الفصل الأول
تعريفه

كلمة تبشير تعني في اللغة: الخبر الذي يفيد السرور إلا أنه بحسب أصل اللغة هو عبارة: عن الخبر الذي يؤثر في البشرة تغيراً وهذا التغيير يكون للحزن أيضاً كما يكون للسرور فوجب أن يكون التبشير حقيقة في القسمين.

والتبشير عند المسيحيين يعني هجوم المسيحية على الديانات المستوطنة في البلاد التي يتوجه إليها المبشرون المسيحيون للتبشير فيها خصوصاً على الإسلام[١].

---

(١) الغزو الفكري، علي عبد الحليم محمود، ص١٣٧.

الفصل الثاني
أهداف التبشير ووسائله

أ ـ أهداف التبشير :

يمكن حصر أهم أهداف التبشير في النقاط التالية :

١ ـ إن الهدف الأساسي من مخططات التبشير بالنصرانية هو تحويل المسلمين عن دينهم ولو إلى الإلحاد والكفر مبطل الدين.

٢ ـ لقد وجد المبشرون أن الأخلاق الإسلامية هي من الظواهر التطبيقية للإيمان بالله واليوم الآخر وهي من أكبر العوامل التي منحت المسلمين قوتهم فأراد المبشرون أن يهدموا هذه الأخلاق والقيم ليوهنوا قوتهم ويشتتوا شملهم.

٣ ـ ابتذار أموال المسلمين واقتناص خيراتهم

بما يصدرون لهم من وسائل الترف والزينة بما يسهل لهم سبلاً محرمة تمتص مختلف طاقاتهم الفكرية والجسدية والنفسية.

٤ ـ تحويل مجرى التفكير في الوحدة الإسلامية لأن وحدة المسلمين أكبر خطر على المسيحية.

٥ ـ تخريب ضمائر المسلمين وزعزعة عقيدتهم لصرفهم عن عبادة الله الواحد الأحد.

ب ـ وسائل التبشير:

أولاً: استغلال العلم في التبشير:

وهدف المبشرين من إنشاء المدارس والكليات ليس العلم وحده ولكن خدمة التبشير والدعوة للنصرانية فالغاية هي قيادة الناس إلى المسيح حتى يصبح الناس شعوباً مسيحية.

فجامعاتهم لا يمكن أن يعين فيها مسلم أبداً وهم يضيفون إلى مناهجهم الكتب التي تشوه الإسلام وتاريخه وشخصياته بالبهتان ولا يعوقهم

شيء عن بناء كنيسة بجوار أي مدرسة، كما لا يفوتهم أن يؤسسوا كلياتهم بجانب المراكز الإسلامية التي ينبعث منها النور إلى شتى بقاع العالم فقد أنشأوا الجامعة الأمريكية بالقاهرة حتى تكون قريبة من الأزهر هذا فضلاً عن إنشاء مدارس دينية للبنات في بيروت.

وقد يجاهد بعض أبناء المسلمين لتحصيل العلوم التي تتفق وميوله الفطرية وقد ينجح ويتخصص في المجالات العلمية النادرة لكن جهود التبشير ترمي إلى حجبه عن مراكز التعليم والإدارة والإنتاج بغية قتل ما حصله من علم خلال سنين عديدة فتوجهه إلى أعمال يستطيع القيام بها أقل الذين يحسنون القراءة والكتابة ولكي تبعده عما ينفع أمته الإسلامية، فإن لم تفلح أغرته بالهجرة إلى الدول الأجنبية والعمل لديها بمرتبات مغرية كي تستثمر اختصاصه وتضيفه إلى ثرواتها العلمية وتحرم أمته الإسلامية منه.

وحقيقة كان للتبشير خطة محكمة لحرمان

المسلمين من العلوم العملية وحجبها عنهم بأشكال متنوعة ووسائل شتى نذكر منها ما يأتي:

١ ـ شغل أبناء المسلمين بالعلوم النظرية البحتة البعيدة عن المجالات التطبيقية النافعة المتصلة بالمنجزات العلمية ذات الأثر المادي والمبتكرات الصناعية الحديثة وذلك بغرض نشر موكب التخلف عن منجزات العصر.

٢ ـ شغل أبناء المسلمين بالفلسفات الفكرية المتناقضة المتعارضة وغمسهم في صراع المبادئ الاجتماعية لقتل طاقاتهم الفكرية.

٣ ـ شغل أبناء المسلمين بحشد من التفاهات التعبيرية التي يسمونها (أدب) دون أن يكون لها ثمرة تربوية قويمة أو خلقية كريمة أو فكرية تضيف علماً أو تنمي ذوقاً.

٤ ـ إدخال فنون التمثيل والرقص والغناء والتصوير والنحت في قائمة العلوم التي يتوقف عليها ارتقاء الأمم وذلك لصرف الطاقات عن العلوم النافعة.

ثانياً: استغلال المرض كوسيلة للتبشير:

لقد رأى المبشرون ضرورة استغلال مهنة الطب وجعلها معيناً على التنصير فأسسوا العديد من مراكز التطبيب والتي بدأت كمراكز لعلاج المرض ثم ما لبثت أن أفصحت عن وجهها الحقيقي كونها مراكز للتبشير فقلّت أعمال التطبيب حتى أصبحت في النهاية لا تعمل إلا للتبشير المحض. كان الأطباء المبشرون لا يعالجون المريض إلا بعد أن يحملوه على الاعتراف بأن الذي يشفيه هو المسيح وكانت المعالجة لا تبدأ قبل أن يركع المريض ويسأل المسيح الشفاء.

إن أكثر الأطباء البروتستانت الذين جاءوا إلى بلاد العرب والشرق الإسلامي لم يأتوا لأداء رسالتهم الإنسانية في معالجة المرضى بل جاءوا حباً في التبشير بالمسيحية ولم يفت المبشرون أهمية دور المرأة المسلمة فأرسلوا إليها طبيبات مبشرات للاتصال بهن مباشرة لبث الفكر النصراني كتحديد النسل. هذا فضلاً عن تشغيل الراهبات في مهنة التمريض.

هذا الانحراف الجسيم في هذه المهنة الإنسانية عن أداء مهمتها السامية ارتكب إثمه المبشرون خصوصاً الأمريكيون منهم.

ثالثاً: استغلال الأعمال الاجتماعية في التبشير:

جاء المبشرون إلى الشرق الإسلامي ومعهم أفكارهم عن بعض الأغراض الاجتماعية فأرادوا أن ينقلوها إلى المسلمين وفاتهم أن الإسلام ديناً فحسب بل هو عقيدة ونظام اجتماعي فكل ما جاء به المبشرون يوجد في الإسلام في شكل أتم وأحسن ومع أَن المبشرين رفعوا شعارات ضخمة مثل (الرفق بالحيوان) (إنصاف العمال) (الطفل للمدرسة لا للعمل)... فإن هذه الشعارات لم يكن هدفها الإصلاح الاجتماعي بل يقصد بها المبشرون استمالة القلوب المسلمة فيسهل على المبشرين التسلل إلى الجماعات المسلمة بالتبشير.

وقد رسم المبشرون خطة محكمة ترمي إلى حل التماسك وفك الترابط الأسري بين أفراد الأمة الواحدة حتى لا تكون لها شخصية موحدة قوية.

وحيث أن الشخصية الجماعية تلتقي على وحدات أربع هي: الوحدة الفكرية والاعتقادية والسلوكية والعاطفية فإن هذه الوحدات الأربع كانت المرمى الذي يسدد إليه الأعداء سهامهم فيعملون على تقنينها وإحداث التناقض بينها فأرادوا أن يضعوا بدل الوحدة الفكرية عند المسلمين أشتاتاً وأخلاطاً فكرية متضادة كما أرادوا أن يتلاعبوا بمناهج البحث السليمة عند المسلمين وهي المناهج التي أرشدهم الله إليها بالوحي فيستبدلونها بمناهج قصيرة النظر تقف عند حدود الظاهر المادي فقط ولا تتعداها إلى الحقائق الكامنة وراءها.

وأرادوا أن يضعوا بدل وحدة الاعتقاد المهيمنة على قلوب المسلمين اتجاهات وجودية إلحادية تعمل على تحويل الإنسان إلى مخلوق أناني متوحش يستخدم كل ذكائه لإشباع رغباته الأنانية المتوحشة وأرادوا أن يضعوا محل الوحدة العاطفية المستندة على أساس ديني متين راسخ يحرك المسلمين بقوة هائلة أشتاتاً عاطفية متناقضة تأخذ شكل إقليمي تارة وشكل طبقي تارة وشكل مصلحة

مادية تارة أخرى. أما أخلاق الشعوب الإسلامية فقد اكتشف المبشرون طريقتين للوصول إلى إفسادها والهبوط بها من قمة الكمال الإنساني إلى حضيض النقص والرذيلة.

١ ـ الطريقة الأولى: العبث بالمفاهيم الخلقية.

٢ ـ الطريقة الثانية: الغمس بالمجتمعات الفاسدة خلقياً.

الطريقة الأولى: العبث بالمفاهيم الخلقية:

قام المبشرون بحشد النظريات الفلسفية المنحرفة عن الشرائع الربانية فمن نظرياتهم ما يعتمد على تمجيد اللذة الفردية وإباحة كل ما يحققها مهماً أضرّ ذلك بصحة الفرد أو عقله أو آخر مجتمعه أو خالف أوامر الله تعالى ومنها النظريات التي تمجد قوة الجماعة فتمثلها دولة سياسية ومنها الضلالات التي تدس بين الشعوب المسلمة بأن الأخلاق أمر اعتباري تمليه المصلحة الاجتماعية والسياسية

والاقتصادية ويضربون لذلك أمثلة من المجتمعات البدائية فيقولون: إن بعض القبائل تأكل موتاها بدافع اقتصادي. وبعض الشعوب لا ترى في العري والزنا بأساً.

فيستدل السامع من الأمثلة على أن الأخلاق أمر اعتباري تتواضع عليه الشعوب.

ولقد كان على المبشر صاحب هذه الضلالات أن يكون منسجماً مع نفسه فيقول: أن التقدم المدني ليس له صورة ثابتة أيضاً فاستخدام السكاكين أُبدل باستخدام الأسلحة في القتال ونحوها من صور المدنية الحديثة يجب أن توضع على قدم المساواة مع الأخلاق، فإن كان هذا أمراً مرفوضاً في المدنية فهو في ميادين الحضارة الخلقية أحق بالرفض.

الطريقة الثانية: الغمس بالمجتمعات الفاسدة خلقياً:

وهذا من أقوى الوسائل للإفساد العملي فالإنسان بطبيعته قابل للتكييف والتأثر بالبيئة الاجتماعية فلو وضعنا تقياً نقياً غير معصوم في بيئة

اجتماعية معظم من فيها فاسدون فإن هذا التقي يتحول تدريجياً إلى مستواهم.

وقد عرفت كتائب المبشرين هذه الطبيعة النفسية عن الإنسان فوضعت لها منهاجاً عملياً فاستقدمت المبشرين للدراسة والعمل لإفساد الأجيال المسلمة عن طريق الغمس في المجتمعات الموبوءة واستخدمت في ذلك العناصر التالية:

أ ـ عنصر المال:

وهو عنصر فعال كما اشترى به رجال وقد استطاع المبشرون أن يستخدموه على نطاق واسع لإفساد أخلاق المسلمين فاشتروا بالمال أصحاب النفوس الضعيفة وأخذوا يوجهونها كما يريدون وعملوا على نشر الرشوة والتشجيع على اختلاس الأموال العامة ودعم الاحتكارات المحرمة والتغاضي عن الغش وتهريب المحظورات الدولية.

ب ـ استخدام عنصر النساء:

ويستخدم المبشرون هذا العنصر للاستيلاء على أصحاب النفوس الضعيفة خاصة الشباب

فيسخرونهم بعد ذلك لترسيخ قواعد التبشير المادية والمعنوية داخل البلاد.

أضف إلى هذين العنصرين عنصر الخمر والمادية البحتة فضلاً عن أنماط العيش التي تعتمد على الرفاهية والمتعة واللذة وعدم المبالاة إلا بما يمتص طاقات الفكر والجسد من متعة ولذة ولهو.

وقد نصح المبشرون أعوانهم على السير في الأعمال الاجتماعية على الأسس التالية:

١ - إيجاد بيوت للطلبة والطالبات وإنشاء جمعيات للشبان والشابات.

٢ - إيجاد الأندية والتشجيع على الاختلاط.

٣ - الاعتناء بالتعليم الرياضي مع الترفيه.

٤ - جلب النساء الأجنبيات اللائي يعملن في مجال التبشير ليتصلن بالنساء المسلمات.

٥ - تشجيع الشبان المسلمين على الزواج بالأجنبيات مستغلين رخصة الإسلام في إباحة زواج المسلم بالكتابية. والمعلوم أن مثل هذا الزواج

يسلب البيت الإسلامي الجو الروحاني المسلم ويضفي على البيئة الطابع الأجنبي خصوصاً اللغة الأجنبية التي تتكلم بها الزوجة فيتعلم الصغار من الأم اللغة الأجنبية وتضيع اللغة العربية وهي لغة القرآن.

٦ ـ إنشاء المكتبات التبشيرية لبيع الكتب لتوزع في الخفاء النشرات التبشيرية.

٧ ـ استغلال الصحافة بشكل واسع لتخدم أهداف التبشير لأن المبشرين رأوا المسلمين لهم شغف بقراءة الصحف.

٨ ـ التغلغل في المجتمعات الصناعية الإسلامية فيخالط المبشرون عمال المصانع المسلمين ثم يسيطرون على الأوساط الصناعية الإسلامية بروح نصرانية ويبقون فيهم أفكاراً نصرانية أهمها:

أ ـ أن التقدم العلمي والصناعي أساسه مسيحي متجاهلين بذلك دور العلماء المسلمين الأوائل أصحاب الفضل على النهضة الأوربية.

ب ـ الاختراعات الحديثة والاكتشافات الفضل فيها يرجع إلى المسيحية[1].

---

(١) كتاب التبشير والاستشراق.
أجنحة المكر الثلاثة.. عبد الرحمن حبنكه.

الفصل الثالث

ميادين التبشير وآثاره

قام المبشرون على اختلاف نزعاتهم الدينية وتعدد مذاهبهم وجمعياتهم التبشيرية برسم خريطة للعالم الإسلامي رسماً دقيقاً تتناول جميع الجوانب البشرية وغير البشرية، وأعدوا للعالم الإسلامي في خطتهم للإغارة عليه حشداً عظيماً من إرساليات التبشير وعزموا على أن يتناسوا الخلافات المذهبية فيما بينهم وذلك بغرض جمع طاقاتهم لمحاربة الإسلام وهدم دعائمه وتحويل المسلمين عن تعاليم الإسلام وإيقاف امتداده الطبيعي.

إن الاهتمام بالإرساليات التبشيرية في القرون الوسطى وصل ذروته إلى الحد الذي جعل النصارى يُنشئون كلية تكون قاعدة لتخريج المبشرين بعد تعليمهم أصول التبشير ووسائله ثم يقذفون بهذه

الإرساليات إلى الهند والجزائر وجاوة وقد نجحت هذه الإرساليات نجاحاً باهراً لذلك أخذت تنمو وتزداد وتألفت لها أقسام نسائية وزاد شغف أوربا بأعمال التبشير الهادفة إلى إخراج المسلمين عن دينهم وامتداداً لهذا المخطط تأسست أيضاً إرساليات تبشير طبية على سبيل التجربة وتوافد المبشرون على أفريقيا الوسطى فاقتسموا مناطقها على اختلاف جنسياتهم وقد انتشرت إرساليات هؤلاء بدون انقطاع من شرقي أفريقيا إلى أوساطها حتى الخرطوم والحبشة.

أما بلاد المغرب فلها مبشرون خاصون بها ترسلهم «جمعية تبشير شمال أفريقيا» وهم منتشرون في المغرب والجزائر وتونس وسائر بلاد المغرب.

وانتشرت إرساليات التبشير في الهند وقد وقع المبشرون هناك أول الأمر في حيرة لأنهم لم يعلموا بمن يبدأون في التبشير لأن الهند صاحبة أديان متعددة وقد اكتشف المبشرون هناك طريقة تبشيرية هي التقاط الأطفال الذين ناب بعضهم الفقر

فيحسنون إليهم لاستمالة قلوبهم نحو الدين المسيحي. أما عن التبشير في الملايو فإن أهالي هذه البلاد اقتبسوا شيئاً من مذهب الكاثوليك عقب ظهور البرتغاليين ومن مذهب البروتستانت بعد استيلاء الهولنديين على هذه البلاد وقد أبدى الهولنديون قسوة وعدم تسامح في القرون الوسطى في سبيل نشر عقيدتهم.

أما عن الحركات التبشيرية في مصر فقد قام المبشرون بتأسيس مدرسة جامعة تشترك فيها المؤسسات التبشيرية كلها على اختلاف مذاهبها لتتمكن من مزاحمة الأزهر الشريف بسهولة وتتكفل هذه المدرسة الجامعة باتقان تعاليم اللغة العربية. ومن أهم المعاهد التبشيرية التي أنشئت في مصر المعهد الذي أسسته جمعية مبشري أمريكا الشمالية واستطاع المبشرون من خلال المعهد الاحتكاك بالمسلمين عن طريقة المحاضرات الأسبوعية والمناظرات بين الإسلام والمسيحية وكان يسمح للمسلمين بحضور هذه الندوات ولهم أن يتكلموا

فيها. ثم نشطت هذه الجمعية حتى كانت لها مجلة منتشرة جداً.

التبشير في الجزيرة العربية:

نظر المبشرون إلى الجزيرة العربية بحنق شديد لأنها كانت في يوم من الأيام مشرق شمس الإسلام ولأن فيها أماكن مقدسة يحج إليها المسلمون كل عام من أقطار الدنيا وحقيقة أن إرساليات التبشير للجزيرة العربية كبد النصارى نفقات جسيمة إلا أن الإسلام منذ أن ظهر في مكة لم يضعف عدداً بل هو دائماً في ازدياد واتساع ثم إن الإسلام ليس ديناً فحسب بل إن من أركانه الجهاد ولم يتفق قط أن شعباً دخل في الإسلام ثم عاد نصرانياً.

آثار التبشير:

إننا إذا تتبعنا آثار التبشير نجد أن هؤلاء المبشرين لا يرعون لله حرمة ولا يحفظون للشعوب التي يذهبون إليها عهداً ولا ذمة بل تراهم يحيكون المؤامرات والفتن ويثيرون العداوة والبغضاء بين أبناء الوطن الواحد وعن آثار التبشير نقول: إن الأمر

الذي لا مرية فيه أن حظ المبشرين من التغيير الذي أخذ يدخل على عقائد المسلمين ومبادئهم أكثر بكثير من حظهم في التقدم والرقي الحضاري فالتعليم والتربية الذين يعتد بهما المبشرون قد أسفر عن نتائج جمة وأثمر ثمرات نافعة في الأطفال والمراهقين على السواء.

لقد عمل المبشرون على خلق الأسباب التي تدعو إلى الحرب بين الأمم الإسلامية التي يعملون بين شعوبها وبين الحكومات الأوربية التي يعتنقون سياستها وكان الغرض من تشجيع الحرب المستمرة على الأمم الإسلامية هو إضعافها كما حدث في تركيا إبان الإمبراطورية العثمانية خلال القرن الثامن عشر والتاسع عشر لأن أوربا وأمريكا تنظر حتى اليوم إلى جميع حروبها نظرة دينية[١].

وقد أدى هذا النشاط في مجال إشعال الحروب إلى النتائج التالية:

---

(١) كتاب المسألة الشرقية تأليف، مصطفى كامل.

أ ـ حاربت روسيا تركيا عدة قرون حروباً متصلة حتى أضعفتها واستولت منها على بلاد القوقاز وبلاد القرم كما حاربتها رومانيا واليونان وأهل الجبل الأسود وبلغاريا حتى خرجت من تحت سلطة الدولة العثمانية.

ب ـ عملت النمسا وفرنسا على تهييج أمم البلقان على السلطان العثماني.

جـ ـ أما انجلترا فكانت تظهر بمظهر الود ثم تكيد الدسائس للدول الإسلامية فقد أهاجت الأرمن والدروز وأهل كريت ثم حصلت على قبرص بدعوى مساعدة تركيا في مؤتمر برلين ثم دفعت روسيا إلى محاربة تركيا وقد اقترح بعض المبشرين أن تتحالف بريطانيا وفرنسا على سياسة السيطرة على الشواطئ حيث تصلها السفن محملة بآلات الحرب لقتال العرب المسلمين.

هذا بالنسبة لآثارهم الخارجية وهناك ميدان آخر للمبشرين فقد عملوا على إثارة الاضطرابات المختلفة داخل دول الإسلام وذلك بإذكاء نار

العداوة والبغضاء بين الفئات التي كانوا يبشرون بينها في مختلف الدول حتى يكون ذلك ذريعة للتدخل في شئونها بهدف حماية الأقليات المسيحية النصرانية.

ولما فشلوا في التأثير على البيئة الإسلامية أثاروا الخلافات بين طوائف المسيحية وكان يزعجهم أي تقارب بين المسلمين ومعتنقي الأديان الأخرى فقد دفعوا الأقلية الأرمنية على الثورة ضد الحكومة العثمانية كما أثاروا طائفة الأشوريين في العراق على حكومة العراق والأشوريين طائفة مسيحية قليلة تسكن شمال العراق ولا صلة بينها وبين الأشوريين الذين كانوا يقطنون العراق قبل الميلاد.

وقد عمل المبشرون يؤيدهم الاستعمار البريطاني على ضم أفراد هذه الطائفة إلى القوات البريطانية لمقابلة ثوار العراق. عمل المبشرون على منع انتشار الإسلام واضطهاد المسلمين ونشر الفساد فإذا لاحظ المبشرون عدم إقبال الوثنيين على

المسيحية كما حدث في جنوب السودان كان نشاطهم مقتصراً على منع انتشار الإسلام. عمل المبشرون على التجسس على الشعوب التي يعملون بالتبشير بينها لحساب الدول التي يتبعونها سياسياً.

الخلاصة:

إن الانتقال من النصرانية إلى الإسلام كان أكثر من انتقال المسلمين إلى النصرانية إلا أن هناك تأثيراً مسيحياً كبيراً في حياة المسلمين وسلوكهم قد جاء على يدي هذه الإرساليات التبشيرية. لكن يجب أن نشير إلى أنه لم يحدث قط انتقال واسع من الإسلام إلى النصرانية في قطر ما إلا بعد تبدل ذلك القطر بحكومته الإسلامية إلى حكومة غربية مسيحية وذلك حين تنتهج هذه الحكومات المسيحية سياسة فعالة في مساعدة تلك الإرساليات التبشيرية[١].

---

(١) كتاب التبشير والاستشراق، د. محمد عزت، ص٨٤ ـ ٨٧ ـ ٩٥.

الباب الثاني

الاستشراق

الفصل الأول
التعريف بالاستشراق

أطلقت كلمة الاستشراق على الدراسات التي يقوم بها غير الشرقيين لعلوم الشرقيين ولغاتهم وأديانهم وتاريخهم وأوضاعهم الاجتماعية. وقد بدأ الاستشراق منذ دقت جيوش الفتح الإسلامي أبواب أوربا وكان المسلمون قد احتلوا عرش السيادة الدولية وملأوا سمع الزمان وبصره. وأخذت أوربا الغارقة في الجهل والتخلف الحضاري يومئذ تبحث عن أسباب نهضة المسلمين وبلوغهم هذا المجد العظيم وأخذ بعض رجال الكنيسة الأوربيين يدرسون علوم هؤلاء الفاتحين ولغاتهم لعلهم يظفرون من علوم المسلمين ما ينفعهم في إنقاذهم من تخلفهم فكان الاستشراق طلباً لعلوم الشرقيين. ولما كان المحركون للحروب الصليبية من رجال الكهنوت

والعلوم العليا تكاد تكون منحصرة في الكنيسة كان أوائل المتوجهين للدراسات الشرقية من هؤلاء الرجال ولا ريب أن أغراضهم في ذلك تواكب أغراض الحروب الصليبية التي أخذت أسلوباً جديداً في الغزو غير أسلوب الغزو المادي المسلح وتتفق مع أهداف التبشير بالمسيحية ثم أسست للاستشراق معاهد وتألفت جمعيات من المستشرقين للتعاون في الأعمال المتعلقة بالدراسات والعلوم الشرقية كنشر بعض المخطوطات العربية ووضع الفهارس الشاملة لبعض الكتب الإسلامية ووضع المعاجم المفهرسة الشاملة لبعض الكتب الإسلامية ووضع المعاجم المفهرسة وتفصيل آيات القرآن الكريم بحسب موضوعاتهم. ولقد رأى اليهود الاستشراق باباً خطيراً من أبواب التسلل إلى البلاد التي يحلمون بالسيطرة عليها وفق طريقتهم فتخصص فريق منهم في الدراسات الشرقية وتابعوا المسيرة ضمن الخطط اليهودية حتى احتل اليهود عدداً كبيراً من كراسي الدراسات في الجامعات الكبرى وأخذوا

يخدمون الأغراض اليهودية الصهيونية في هذا المجال تحت ستار خدمة أغراض المستشرقين المسيحيين وأغراض الدوائر الاستعمارية وغدا للاستشراق مدارس عديدة كل منها له أهداف تنسجم مع المذهب الفكري أو الديني الذي يتبعه المنتسبون إليها وباستطاعتنا أن نقسم هذه المدارس إلى ما يلي:

١ ـ مدارس نصرانية:

وهذه تنقسم قسمين:

أ ـ الكاثوليك.

ب ـ البروتستانتية.

٢ ـ المدرسة اليهودية.

٣ ـ المدرسة الإلحادية العامة.

٤ ـ المدرسة الإلحادية الشيوعية.

ورافق كل ذلك فتنة المسلمين بالحضارة المادية الغربية ووقوعهم فريسة خطط نصرانية عن طريق التعلم وأساليبه ومناهجه وهي خطط ماكرة جعلت الجامعات في بلاد المسلمين تحصر المراتب

العلمية فيها على حملة الشهادات في العلوم الإنسانية المستمدة من تعاليم النصرانية[1].

وقد كان لظهور الاستشراق دوافع عديدة دينية وسياسية واستعمارية وتجارية ودوافع علمية إلا أن الواقع الديني هو الدافع الأول للاستشراق عند الغربيين فقد بدأ الاستشراق بالرهبان وهؤلاء كان يهمهم أن يطعنوا في الإسلام ويشوهوا محاسنه ويحرفوا حقائقه ليثبتوا لجماهيرهم أن الإسلام دين غير جدير بالانتشار.

---

(١) كتاب أجنحة المكر الثلاثة، عبد الرحمن حبنكه، ص٨٣ ـ ٨٤ ـ ٨٥.

الفصل الثاني

أهداف الاستشراق ووسائله

أولاً: أهداف المستشرقين:

تنقسم أهداف المستشرقين من الدراسات الاستشراقية إلى ثلاثة أقسام:

أ ـ هدف علمي مشبوه يهدف إلى:

- التشكيك بصحة رسالة النبي ﷺ.
- التشكيك بأن الإسلام دين من عند الله.
- التشكيك في صحة الحديث النبوي.
- التشكيك بقيمة الفقه الإسلامي.
- التشكيك في قدرة اللغة العربية على مسايرة التطور.

ب ـ هدف ديني وسياسي.

جـ ـ أهداف علمية خالصة لا يقصد منها إلا البحث والتمحيص.

أ - أولاً: الهدف العلمي المشبوه:

١ - التشكيك بصحة رسالة النبي ﷺ ومصدرها الإلهي فجمهور المستشرقين ينكرون أن يكون الرسول نبياً موحى إليه من عند الله عز وجل فتراهم يتخبطون في تفسير مظاهر الوحي التي كان يراها أصحاب النبي ﷺ وبخاصة السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها فمن المستشرقين من يرجع ذلك إلى (صرع) كان ينتاب النبي ﷺ ومنهم من يرجعها إلى تخيلات ومنهم من يفسرها بمرض نفسي وكأن الله لم يرسل نبياً قبله حتى يصعب عليهم تفسير ظاهرة الوحي.

ولما كانوا كلهم ما بين يهود ومسيحيين يعترفون بأنبياء التوراة وهم أقل شأناً من محمد عليه الصلاة والسلام في التاريخ والمبادئ والتأثير لذلك كان إنكارهم لنبوة محمد ﷺ مبعثة التعصب الديني الذي يملأ نفوس أكثرهم كرهبان وقسيسين ومبشرين. ويتبع ذلك إنكارهم أن يكون القرآن كتاباً منزلاً من عند الله وحين يفحمهم ما ورد فيه من حقائق تاريخية عن الأمم الماضية مما يستحيل

صدوره عن أمي مثل محمد يقولون أنه استمده من أناس كانوا يخبرونه بها.. وحين يفحمهم ما جاء فيه من حقائق علمية لم تكتشف إلا في هذا العصر يرجعون ذلك إلى ذكاء النبي ﷺ.

٢ ـ ويتبع إنكارهم لنبوة الرسول وسماوية الكتاب إنكارهم أن يكون الإسلام ديناً من عند الله وهم يعتبرون الإسلام ديناً ملفقاً من الديانتين اليهودية والمسيحية ويلاحظ أن المستشرقين اليهود أشد حرصاً على ادعاء استمداد الإسلام من اليهودية وذلك لالتقاء بعض النقاط بين الإسلام واليهودية.

٣ ـ التشكيك في صحة الحديث النبوي الذي اعتمده علماؤنا المحققون ويتذرع هؤلاء المستشرقون بما دخل على الحديث النبوي من وضع ودس متجاهلين الجهود التي بذلها علماؤنا لتنقية الحديث الصحيح من غيره مستندين إلى قواعد بالغة الدقة في التثبت والتحري مما لم يعهد عندهم في ديانتهم عشر معشاره في التأكد من صحة الكتب المقدسة عندهم.

والذي حملهم على ركوب متن الشطط في دعواهم هذه ما رأوه في الحديث النبوي من ثروة فكرية وتشريعية مدهشة وهم لا يعتقدون في نبوة محمد فادعوا أن هذا لا يعقل أن يصدر عن محمد الأمي فالعقدة النفسية عندهم هي عدم تصديقهم بمحمد ونبوته ومنها تنبعث كل تخبطاتهم وأوهامهم.

٤ ـ التشكيك بقيمة الفقه الإسلامي ذلك التشريع الهائل الذي لم يجمع مثله لجميع الأمم في جميع العصور. وقد زعموا ـ انطلاقاً من تكذيبهم نبوة محمد ـ أن الفقه الإسلامي مستمد من الفقه الروماني وبالتالي فهو مستمد منهم ـ الغربيين ـ وقد أفحمهم علماؤنا وأثبتوا أن الفقه الإسلامي فقه مستقل بذاته وأنه غير مستمد من أي فقه آخر.

٥ ـ التشكيك في قدرة اللغة العربية على مسايرة التطور العلمي وذلك بهدف جعلنا أمة تظل عالة على مصطلحاتهم التي تشعرنا بفضلهم وسلطانهم الأدبي وإظهار اللغة العربية فقيرة، لنتجه

إلى آدابهم وتلك هي الحروب الأدبية التي يبغونها مع الاستعمار العسكري.

ب ـ ثانياً: الأهداف الدينية والسياسية:

وتتلخص هذه الأهداف فيما يلي:

١ ـ تشكيك المسلمين في نبيهم وقرآنهم وشريعتهم وفقههم ففي ذلك هدفان ديني واستعماري.

٢ ـ تشكيك المسلمين بقيمة تراثهم الحضاري فيدعون أن الحضارة الإسلامية منقولة عن حضارة الرومان ولم يكن العرب والمسلمون إلا نقلة لفلسفة تلك الحضارة وأن المسلمين ليس لهم إبداع فكري ولا ابتكار حضاري رغم امتلاء حضارتهم بالنقائض.

٣ ـ إضعاف ثقة المسلمين بتراثهم وبث روح الشك في كل ما بأيديهم من قيم وعقيدة ومثل عليا.

٤ ـ إضعاف روح الإخاء الإسلامي بين المسلمين في مختلف أقطارهم عن طريق إحياء

القوميات التي كانت لهم قبل الإسلام وإثارة الخلافات بين شعوبهم وكذلك يفعلون في البلاد العربية يجتهدون لمنع اجتماع شملهم ووحدة كلمتهم وذلك بتصيد الحوادث الفردية في التاريخ ليضعوا منها تاريخاً جديداً.

جـ - ثالثاً: أهداف علمية خالصة لا يقصد منها إلا البحث والتمحيص:

إن دراسة التراث العربي والإسلامي كانت تكشف لهم بعض الحقائق الخفية عنهم وهذا من الصنف الذي يقوم بالبحث قليل عدده جداً وهم من أخلصهم في البحث لا يسلمون من الأخطاء والاستنتاجات البعيدة عن الحق إما لجهلهم بأساليب اللغة العربية وإما لجهلهم بالأجواء الإسلامية التاريخية فيتصورونها كما يتصورون مجتمعاتهم ناسين الفروق الطبيعية والنفسية بيننا وبينهم.

وهذه الفئة أسلم الفئات الثلاثة أهدافاً وأقلها خطراً إذ سرعان ما يرجعون إلى الحق حين يتبين لهم ومنهم من يعيش بقلبه وفكره في البيئة التي

يدرسها فيأتي بنتائج تنطبق مع الحق والصدق لكنهم يلقون عنتاً ولوماً من أصحاب الهدفين السابقين إذ سرعان ما يتهمونه بالانحراف عن المنهج العلمي أو الانسياق وراء العاطفة أو مجاملة المسلمين كما فعلوا مع (توماس أرنولد) حين أنصف المسلمين في كتابه العظيم (الدعوة إلى الإسلام) فقد برهن على تسامح المسلمين في مختلف العصور مع مخالفيهم في الدين فقال المستشرقون عنه أن مؤلفه كان مندفعاً بعاطفة قوية من الحب للمسلمين ومن هؤلاء من يؤدي بهم البحث الخالص لوجه الحق إلى اعتناق الإسلام والدفاع عنه في أوساط أقوامهم الغربيين كما فعل المستشرق الفرنسي الفنان (دينيه) الذي عاش في الجزائر فأعجب بالإسلام وأعلن إسلامه وله كتاب (أشعة خاصة بنور الإسلام) بيّن فيه تحامل قومه على الإسلام ورسوله وقد توفي المستشرق المسلم في فرنسا ودفن في الجزائر[(١)].

---

(١) كتاب الاستشراق والمستشرقين، الدكتور مصطفى السباعي، ص٢٠ ـ ٢١ ـ ٢٢ ـ ٢٣ ـ ٢٤ ـ ٢٥.

ثانياً: وسائل المستشرقين في تحقيق أهدافهم:

لم يترك المستشرقون وسيلة لنشر أبحاثهم وبث آرائهم إلا سلكوها ومن هذه الوسائل:

١ ـ تأليف الكتب في موضوعات مختلفة عن الإسلام واتجاهاته ورسوله وقرآنه وفي أكثرها كثير من التحريف المتعمد في نقل النصوص أو في فهم الوقائع التاريخية والاستنتاج منها.

٢ ـ إصدار المجلات الخاصة ببحوثهم حول الإسلام وبلاده وشعوبه.

٣ ـ إرساليات التبشير إلى العالم الإسلامي لتزاول أعمالاً إنسانية في الظاهر كالمستشفيات والجمعيات والمدارس والملاجيء والمياتم ودور الضيافة كجمعيات الشبان المسيحية.

٤ ـ إلقاء محاضرات في الجامعات والجمعيات العلمية ومن المؤسف أن أشدهم خطراً وعداءاً للإسلام كان يدعى إلى الجامعات العربية والإسلامية في القاهرة ودمشق وبغداد والرباط وكراتشي ولاهور وعليكره وغيرها ليتحدثوا عن الإسلام.

٥ ـ مقالات في الصحف وقد استطاعوا شراء

عدد من الصحف المحلية في بلادنا فقد أعلن المبشرون أنهم استغلوا الصحافة المصرية على الأخص للتعبير عن الآراء المسيحية أكثر مما استطاعوا في أي بلد آخر ولم يترك المستشرقون صحفهم المحلية بل استغلوها في الدعاية للمسيحية.

٦ ـ عقد مؤتمرات لإحكام خططهم في الحقيقة وكانت هذه المؤتمرات تأخذ ظاهرياً شكل بحوث عامة ما زالوا يعقدون هذه المؤتمرات منذ عام ١٧٨٣ حتى الآن.

٧ ـ إنشاء موسوعة (دائرة المعارف) الإسلامية وقد أصدروها بعدة لغات وفي هذه الموسوعة التي حشد لها كبار المستشرقين وأشدهم عداءً للإسلام وقد دسّ السم في الدسم وملئت بالأباطيل عن الإسلام ومن المؤسف أنها مرجع لكثير من المثقفين عندنا بحيث أنهم يعتبرونها حجة فيما تتكلم به وهذا من مظاهر الجهل بالثقافة الإسلامية[١].

---

(١) الاستشراق والمستشرقين، د. مصطفى السباعي، ص٢٦ ـ ٢٧.

الفصل الثالث

ميادين الاستشراق وآثاره

بدأ الاستشراق بدراسة اللغة العربية والإسلام وانتهى بعد التوسع الاستعماري الغربي في الشرق إلى دراسة جميع ديانات الشرق وعاداته وتقاليده وجغرافيته وأشهر لغاته وإن كانت العناية بالإسلام والآداب العربية والحضارة الإسلامية هي أهم ما يعنى به المستشرقون حتى اليوم نظراً للدوافع الدينية والسياسية التي شجعت على الدراسات الشرقية.

إن الدول الاستعمارية كبريطانيا وفرنسا ما تزال حريصة على توجيه الاستشراق وجهته التقليدية من كونه أداة هدم للإسلام وتشويه سمعة المسلمين.

ففي فرنسا لا يزال شيوخ المستشرقين الفرنسيين في وقتنا الحاضر يعملون كخبراء في وزارة الخارجية للشؤون العربية وشؤون المسلمين.

وفي إنكلترا فإن الإستشراق له مكان محترم في جامعات لندن وأكسفورد وكمبردج وأدنبرة وجلاسكو وغيرها. ويشرف عليه يهود وإنكليز استعماريون ومبشرون وهم يحرصون على رفض أي رسالة للدكتوراه يكون مضمونها إنصاف الإسلام وكشف دسائس أولئك المستشرقين.

وغريب أنك تجد أساتذة المستشرقين في أوربا كانوا يعملون في الدول العربية الإسلامية وهم الآن يملأون السويد وهولندا وألمانيا وأسكتلندة وغيرها.

لا شك أن المبشرين فيما يتعلق بتخريب وتشويه عقيدة المسلمين قد فشلوا تماماً ولكن هذه الغاية يمكن الوصول إليها من خلال الجامعات الغربية التي يتوافد إليها الطلبة المسلمون فيجب أن تختار طلبة من ذوي الطبائع الضعيفة والشخصية الممزقة والسلوك المنحل وتمنحهم المنح الدراسية حتى تبيع لهم الشهادات بأي سعر ليكونوا مبشرين مجهولين.

إن الجامعات الغربية تعمل على استغلال جنون الشرقيين للدرجات العلمية والشهادات لكي تستغل هؤلاء الطلبة كمبشرين ووعاظ ومدرسين لأهدافهم وذلك باسم تهذيب المسلمين فتجد هذه الجامعات تمنحهم الشهادات العليا والألقاب العلمية لأقل بحث يكتبونه لجعلها شبكة مقنعة لاصطياد أبناء المسلمين وتسخيرهم لخدمة التبشير والنصرانية من حيث لا يشعرون ويعودون إلى بلادهم وقد امتلأت نفوسهم غروراً يضاف إلى ذلك ما تعرضوا إليه من تحول في السلوك نتيجة للبيئات الغربية التي أقاموا فيها خلال فترة التحصيل والافتتان بمظاهر الحضارة المادية التي شاهدوها[١].

ومن الآثار التي تركها المستشرقون والتي أثرت أكبر الأثر في حياة المسلمين عامة والعرب خاصة العمل على محاربة اللغة العربية ونشر العامية فقد أدرك المستشرقون أن تقطيع أوصال المسلمين والعرب لا يمكن أن يتم لهم ما دام هناك لغة

---

(١) كتاب أجنحة المكر الثلاثة، عبد الرحمن حبنكه، ص٨٧.

واحدة تجمع العرب وتضم المسلمين وما دام هناك حرف عربي يربط حاضر المسلمين بتراثهم الماضي المجيد لذلك رأى المستشرقون وضع خطة تهدف إلى:

١ ـ تشجيع كل قطر عربي على الكتابة باللغة العامية التي يتخاطب بها أفراده.

٢ ـ إحلال الحروف اللاتينية محل الحروف العربية وكان وراء هذين الهدفين أغراض قوية في نفوس المستشرقين فقد كانوا يطمعون في انقطاع صلة العرب بأدبهم القديم وبالمؤلفات اللغوية والدينية والأدبية والتاريخية والفكرية ثم قطع صلة العرب بالقرآن الكريم فتنكمش دائرة قراءته ولا يبقى إلا ليقرأ في المساجد كما تقرأ اللاتينية في الكنائس الكاثوليكية.

وأمنية المستشرقين أن يصبح القرآن كتاب دين لا صلة له بالحياة فلا يقرأه إلا نفر قليل من المسلمين في المساجد من غير أن يفهموا عنه شيئاً ومن غير أن يشعروا بما فيه.

وجدير بالذكر أن ثقافة الإسلام تقوم على ركنين أساسيين:

١ ـ الدين بعلومه المختلفة.

٢ ـ اللغة بفنونها المعروفة.

لذلك سعت فرنسا في الجزائر إلى قطع العرب عن لغتهم بطردهم من المدارس والدواوين واكتفت إنجلترا على عادتها من الدهاء بمحاربة الفصحى فدعت إلى العامية بلسان موظفيها ومبشريها ومستشرقيها فإذا نشطت العامية في كل قطر عربي انهزمت أمامها اللغة العربية الفصحى فاستحال التفاهم وضعفت العقيدة وانقطعت الصلة وتفرقت الوحدة وتبددت القوة واستطاع المستعمر أن يلتقمها لقمة لقمة لكن هذه الدعوة فشلت بضعف الاستعمار في الشرق وقوة الوعي عند العرب والمسلمين إذ وقفوا بالمرصاد لكل من سوّل له جهله أو هواه العبث بلغة الإسلام وإضعاف رابطة العرب[١].

---

(١) كتاب التبشير والاستشراق، د محمد عزت، ص١٢٩.

إن المستشرقين يجاهدون لإنكار رسالة محمد ﷺ ويزعمون أن القرآن ليس بكلام الله عز وجل ويعلنون أن الإسلام دين ليس منزلاً وهم في سبيل ذلك يجادلون دون أن يملكوا أي مستند يؤيده البحث العلمي السليم وذلك رغم ما حققه أهلهم في الغرب من حضارة مادية وبذلك يصدق في حقهم قول الله عز وجل:

﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَا يَغۡرُرۡكَ تَقَلُّبُهُمۡ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ۝٤﴾[1].

---

(١) سورة غافر: الآية ٤.

الباب الثالث

الاستعمار

الفصل الأول
التعريف بالاستعمار

التبشير والاستشراق دعامتان من دعائم الاستعمار، وعملاء التبشير والاستشراق عملاء للاستعمار وخدام لسياسته، وإن ظهروا بوجوه مقاومة الاستعمار وتحرير البلاد منه. فقد تقاسم التبشير والاستشراق والاستعمار جوانب الأعمال المقررة في الخطة العامة لغزو الإسلام والمسلمين وديار الإسلام فحمل الاستشراق أعباء العمل في ميادين المعرفة الأكاديمية وحمل التبشير أعباء الدعوة الجماهيرية حتى إذا تمكن الفريقان من تحقيق أهدافهما تمكن الثالث (الاستعمار) من غزو بلاد المسلمين دون عناء يذكر. وكلمة استعمار مأخوذة من العمارة. قال تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا﴾. والمستعمرون لما عرفوا أوضاع المسلمين ودرسوا أحوال بلادهم وما فيها من

خيرات كثيرة وما للأرض التي تمتد شعوبهم في أرجائها من فضائل وحسنات اقتصادية وسياسية وعسكرية تحلبت أشداقهم طمعاً باقتناص خيراتها والاستيلاء على كنوزها، واستغلال كل ما يمكن استغلاله منها وتسخير الطاقات البشرية المسلمة التي تعيش عليها في خدمة أهدافهم الاستغلالية مع حجب الخبرات الفنية عنها ما استطاعوا.

هذا وقدم الاستعمار لاحتلال البلاد الإسلامية المبشرين ومؤسساتهم فأمدوهم بإمدادات سخية ليكونوا قاعدتهم الأولى لتحقيق أهدافهم الاستعمارية كما مهدوا الطريق أيضاً بالبعوث من المستشرقين ثم استطاعوا أن يدخلوا العواصم الكبرى في الدول الإسلامية مستغلين ما وصل إليه كثير من الشعوب الإسلامية من انحطاط نسبي داخلي وخارجي نتيجة فقدان الوعي الإسلامي العام وعزوف الناس عن المعارف والعلوم الدينية والكونية واشتغالهم في ميادين التجارة والزراعة التقليدية دون أن يدخلوا عليها شيئاً من التطور والتحسن وساعد المستعمر على ذلك أيضاً المؤامرات التي تدبر ضد المسلمين

في المحافل الدولية الكبرى ويستخدم لتنفيذها أعوانه من داخل هذه البلاد[1].

---

(١) أجنحة المكر الثلاثة، ص١٢٢.

الفصل الثاني

أهداف الاستعمار ووسائله

أولاً: أهدافه:

من الأمور التي أصبحت معروفة في أسباب الحروب الصليبية أن تلك الأسباب كانت في ظاهرها دينية غايتها تخليص بيت المقدس من يد المسلمين بينما كانت في حقيقتها سبيلاً للسيطرة على الشرق الإسلامي بما فيه من خيرات اقتصادية ومراكز حربية.

ودعاة الاستعمار الخالص كدعاة الاستعمار المستتر بالتبشير، لا يرعون للناس عهداً ولا يحفظون لهم كرامة. من ذلك يتضح أن الغزاة المستعمرين يلتقون مع المبشرين والمستشرقين على محاربة الإسلام ومقاومة دعوته وهدم أبنيته وسبب التقائهم على محاربته واضح لا يحتاج إلى تأمل،

فالإسلام عقيدة حقة وتعاليم مشرقة ودعوة إنسانية وله فاعليته في نفوس المستمسكين به. إذن فهو الجدار الذي يقف دون تحقيق الأطماع الاستعمارية كما كان القوة المحركة في صد الحروب الصليبية من قبل حتى اضطروا أن يرضوا من الغنيمة بالإياب فأورثهم ذلك كراهية وحقداً.

١ ـ لذلك كان هدفهم الحقيقي الذي يكدحون من أجله هو الوصول إلى هدم الإسلام هدماً كلياً ونسخه من الوجود.

٢ ـ من البواعث النفسية التي تحرض مجرمي الحرب على التسلط وغزو البلاد الإسلامية الرغبة الكبرى في تسخير الشعوب الإسلامية في الأعمال الاستثمارية وغيرها كالأعمال الزراعية والصناعية والعمرانية أو أعمال الخدمات وأهمها الأعمال الحربية إذ يجندون الشعوب المغلوبة ويدفعون بها إلى معارك حربية ضد شعوب أخرى.

٣ ـ الرغبة الاستعمارية في التوسع في الأراضي الإسلامية للاستيطان أو الاستغلال وحين

لا تتحقق لهم هذه الرغبة برضى أصحاب الأرض الشرعيين فإنهم لا يجدون سبيلاً إلى ذلك إلا سبيل الظلم والعدوان بمصادرة الأرزاق وسلب الأرض.

٤ ـ الرغبة في الانتقام تنفيساً عن الكراهية والأحقاد الموروثة وقد تحدثنا من قبل عن هزيمة الصليبيين وما أحدثه من كراهية وحقد في نفوسهم ورغبة في الانتقام.

٥ ـ وقد اجتمعت عدة بواعث نفسية تدفع مجرمي الحرب إلى غزو بلاد المسلمين كتلك التي اجتمعت في المستعمرين والمبشرين والمستشرقين ضد الإسلام وعقيدته فبينما نرى الجناح السياسي والعسكري للدول ذات الأطماع الاستعمارية يتجه نحو التسلط على الأرض نرى موكباً آخراً (التبشير) سائراً في موكب الغزو الفكري وثالثاً سائراً في موكب الغزو العلمي والثقافي وهم المستشرقون وبذلك تجتمع الأهداف الثلاثة على تفتيت وحدة المسلمين وإضعاف قوتهم.

ثانياً: وسائل تحقيق تلك الأهداف:

١ ـ كانت السياسة الاستعمارية تلجأ إلى كل وسيلة لخدمة مآربها ولقد استغلت فيما استغلته رجال الدين الوطنيين في بلاد الشرق والأجانب الطارئين على الشرقيين، وقد تعجب حين ترى دولة علمانية كفرنسا تقاوم الدين والجماعات الدينية في بلادها في حين تشجعها وتساعدها في الخارج.

٢ ـ وبعد انتشار الإسلام في الشرق أصبحت الكنائس النصرانية قليلة كأنها جزر صغار في بحر متسع الأكناف وكانت هذه الكنائس على قلتها متعادية ومتخاصمة حتى أنها كانت تستعمل في صلواتها وفي تخاطبها لغات مختلفة كالعربية والسريانية واليونانية ومع الأيام بدأ هذا الخصام يزداد ثم تبعه انحطاط خلقي واقتصادي في الكنائس والأديرة لذلك أول ما فكر فيه المستعمرون والمبشرون هو إصلاح هذه الكنائس لتستعين بها على التبشير لكن سرعان ما تذكرت الدول الأجنبية أنها لم تأت بالتبشير لهذا الغرض فحسب بل إنها

جاءت به للسيطرة السياسية وما التبشير إلا وسيلة إلى هذه الغاية. لذلك كانت أول دراسة للمبشرين هي دراسة النواحي التي تخدم الاستعمار فأخذوا يدرسون الأحوال السياسية في العالم الإسلامي فلما وجدوا هذه الأحوال على شيء من الاضطراب قالوا إن ذلك يشير إلى كثرة الأبواب التي أصبحت مفتوحة للعالم الإسلامي على مصارعها. على أن أكثر الدول الأوربية نشاطاً تبشيرياً سياسياً كانت فرنسا التي كانت تطرد الرهبان من سوريا ولبنان ثم تحتضنهم في الخارج ليحققوا لها شهواتها الاستعمارية.

٣ ـ إن المستعمر إذا نزل بلداً اتخذ أعوانه من الأقليات المستوطنة أو الطارئة. فعندما نزل المستعمرون بلاد الشرق الإسلامي استخلصوا الأرمن والأشوريين والمهاجرين من اليهود والروس واليونان والإفرنج ليقاوموا بهم العرب.

٤ ـ إن المستعمر لا يختار موظفي الدولة من المسلمين، فالمسلمون يجب أن يكونوا أقلية في

جهاز البلد الخاضع للاستعمار ثم إن المسلمين القليلون في جهاز الدولة لا تلقى إليهم مقاليد المناصب الرئيسية أبداً[1].

٥ ـ حرص المستعمر على ألا يتفق أبناء الأقليات مع الأكثرية المسلمة في الشرق.

٦ ـ وجه المستعمر خططه لإفساد الأجيال الناشئة باعتبارها صحائف بيضاء لها قابلية التأثر لأنها أمة الغد فيستدرج أبناء المسلمين إلى معاقل جيوش الغزاة ولا سلاح في أيديهم فيفسدون أخلاقهم ويجعلونهم غرباء عن أوطانهم.

٧ ـ يسوق المستعمر مبررات كثيرة كاذبة لتغطية الأهداف الحقيقة لتحركاته ومن المبررات التي اصطنعتها الدوائر الاستعمارية كصور للاستيلاء على أمم وشعوب كثيرة خلال القرنين التاسع عشر والعشرين مزاعم التمدين والحضارة والتعليم

---

(١) كتاب التبشير والاستعمار في البلاد العربية، د. مصطفى خالدي، وعمر فروخ، ص١٦٠ ـ ١٦٨م.

والمساعدات الصحية والاجتماعية وكلها شعارات تخفي الغرض الحقيقي.

٨ ـ قد يفتعل المستعمر مثيرات الغضب لتأتي تحركاته الاستعمارية العدوانية في لباس مؤدب أو في لباس المنتقم.

وهكذا تظل صور التسلط المادي المدنس بالمطامع والشهوات والغرائز والأحقاد بين باعث عدواني يحرضها وشكليات تستر هذه الأحقاد[1].

---

(١) أجنحة المكر الثلاثة، ص٥٧٨.

الفصل الثالث

ميادين الاستعمار وآثاره

أولاً: الميادين:

إن إنسان المدنية الحديثة قدّم أمثلة من الاستعمار مناظرة لما كان يقدمه إنسان القرون الأولى دون فروق جوهرية كبيرة إلا الفروق التي تقتضيها وسائل العصر فكل منهما قائم على استغلال الإنسان وإذلاله لأخيه الإنسان دون حق مشروع أو هدف مثالي. وحين نبحث عن هذا العدوان وهذا الاستعمار نجد أنه لا دافع لهذا العدوان إلا الأنانية الشخصية أو الجماعية والمطامع النفسية الظالمة والنزوات القائمة في نفوس أفراد متسلطين أو شعوب أخذتها العزة بالإثم فنمت فيها أنانيات ومطامع ونزوات مشتركة فعمدت إلى تنفيذها باضطهاد شعوب أخرى وإذلالها واستعبادها.

ولما استغلت البلدان الأفريقية التي كانت خاضعة للاستعمار وضح لنا إلى أي حد كان الاستعمار يطوي عنا من أخبار تلك البلاد ثم وضحت حقيقة مهمة هي أن الاستعمار كان يعتقد أن الصابئين إلى النصرانية سيكونون أكثر ميلاً إلى الدولة الغربية لكن خاب ظنهم واتضح أيضاً مدى الصلة الوثيقة بين التبشير والاستعمار.

ففي المغرب العربي قسم المستعمر الفرنسي سكانه إلى قسمين مسلمين وأوروبيين ونقصد بالصنف الثاني أهل المشرق الذين يدينون بالنصرانية أو اليهودية وقد كان لهؤلاء الأوربيين مركز ممتاز في السياسة والإدارة والمجتمع. أما المسلمون فكانوا يعاملون معاملة المستعبدين في كل شيء.

وفي السودان الشرقي حيث يتركز المسلمون وقد كانت الحكومة المصرية تحرم التبشير بين المسلمين هناك كما كان الرهبان يتعرضون للاغتيال وظل الأمر على ذلك حتى احتل الإنكليز مصر ثم كانت الحملة الإنجليزية المصرية على السودان

لإخماد حركة المهدي فاتسع نشاط المبشرين في الخرطوم. أما جنوب السودان فكان ممنوع على المسلمين أن يدخلوه حتى تتاح للمبشرين المسيحيين أن يعملوا فيه بحرية وقد كان الجنوب وثنياً خالصاً غير أن الجنوب ظل ميدان صراع بين الحركة الإسلامية وبين الإرساليات التبشيرية المسيحية ولا ريب أن استقلال السودان قد خفف كثيراً من أثر المبشرين في جنوب السودان. أما المسلمون في الحبشة فقد لاقوا من الحكومة تعصباً دينياً لدرجة أن الحكومة الحبشية استطاعت عن طريق القهر أن تُنصِّر بعض المسلمين إلا أن هذا الأسلوب زاد من العداوة بين المسلمين والمسيحيين، وتعجب حين تعلم أن النصارى أقلية في الحبشة لكن الاستعمار البريطاني خاصة هو الذي يدعم الأسرة المسيحية الحاكمة على كثرة من المسلمين يتكلم العديد منهم اللغة العربية، وبعد الحرب العالمية الثانية أضاف الاستعمار البريطاني الأميركي ظلماً جديداً إلى الظلم القديم فأضاف أرتيريا إلى الحبشة وأخضعها للأسرة المسيحية الحاكمة.

أما عن الاستعمار في آسيا فعلى سبيل المثال لا الحصر نجد أن الاستعمار في فرنسا قد استثمر الطائفية في تحقيق أطماعه حتى أصبحت هذه الطائفية وليدة التغذية الاستعمارية الآثمة.

وكان اهتمام فرنسا وتدخلها في لبنان يزداد كلما لمست ازدياداً في اهتمام بريطانيا في الشرق فقد كان لبريطانيا هي الأخرى مطامعها في هذا الجزء من العالم حين زاد اهتمامها بسورية خاصة عندما أصبحت الهند وشرقي آسيا محورين للثروة البريطانية الاستعمارية بمثل هذا يحارب الاستعمار العرب والإسلام.

أما أشد ما نلقاه نحن فهو أن المستعمر يستخدم في هذا السبيل أفراداً منا أحياناً لا يتورعون عن تسخير الضمير وتقليب الحقائق رأساً على عقب[1].

---

(١) التبشير والاستعمار، د. مصطفى خالدي عمر فروخ، ص١٥٣.

ثانياً: آثار الاستعمار:

شاعت أساليب غير أخلاقية في حياة كثير من الشعوب الإسلامية التي سيطر عليها الاستعمار وذلك بتأثير الحكومات التي قبضت على ناصية بلادهم إذ كانت هذه الحكومات تعتمد في معاملتها لهذه الشعوب على أساليب غير أخلاقية كالكذب والخيانة ونقض العهد والغدر والإخلاف بالوعد والرشوة ونحو ذلك من الرذائل.

وكان لهذه الرذائل من المستعمر وحكومته ردود فعل مماثلة من المغلوبين وكانت هذه الردود في أول الأمر أسلحة مضادة قاومت بها الشعوب سياسة المستعمرين ومع طول العهد وكثرة الممارسة صارت ردود الفعل عادات مكتسبة وسَرى داء الانحراف الخلقي فتمكن من النفوس وسيطر على كثير من ظواهر السلوك وحل أسلوب الكذب محل خلق الصدق وأسلوب الخيانة محل خلق الوفاء بالعهد وانتشر أسلوب شراء الضمائر.

وفشا الداء من الدوائر الحكومية إلى

المشتغلين بالسياسة ثم إلى الأسواق التجارية ثم إلى داخل الأسر وإلى العلاقات المادية والأدبية بين الأفراد حتى غدت التربية التي ينشأ عليها الأطفال تعتمد على كثير من هذه الأساليب غير الأخلاقية وبدأت الأجيال تكتسب من بيئتها هذه الانحرافات وتمارسها في حياتها وفقدت هذه الشعوب كنوزاً عظيمة من كنوز الأخلاق الكريمة التي توارثتها والتي عمل الإسلام على تأصيلها في نفوسهم.

إن الهدم سهل ونتائجه سريعة ولكن الصعوبة كل الصعوبة في البناء[1].

---

(١) أجنحة المكر الثلاثة، د. عبد الرحمن حبنكه، ص٣٧٩.

الباب الرابع

العلاقة بين التنصير والأساليب الأخرى

إن الإسلام يتعرض لغارات وراء غارات فكرية وسلوكية كما يتعرض المسلمون أفراداً وهيئات لهذه الغارات وصدق الرسول الكريم حين قال: «يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تدعا الأكلة إلى قصعتها»[١].

والغارات التي استهدفت الإسلام كثيرة فخلاف جهود النصارى نجد الصهيونية أو اليهودية ونجد الاستعمار المتحالف مع الصهيونية والتنصير وذلك كله لنشر النظريات المعادية للإسلام كالشيوعية وسوف نتعرض لبعض هذه التكتلات التي تقوم بمثل دور التنصير.

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه (٤/ ٤٨٣ رقم ٤٢٩٧) من حديث ثوبان رضي الله عنه.

فالصهيونية حركة خبيثة هدامة تستهدف القضاء على المبادئ والقيم وكل ما هو غير يهودي ومن مراحلها إقامة وطن لليهود في فلسطين المسلمة العربية وأما بقية مراحلها فهي خدمة اليهودية العالمية حتى يصبح العالم كله مسلمون وغير مسلمين في قبضة اليهود وتحت سيطرتهم كما تزعم ثوراتهم التي زيفوها.

ولكي تتعرف على الصهيونية في حجمها الصحيح وعلى الخطر الذي تدبره للإسلام ولشعوب الأرض جميعاً سوف نلاحظ أن اليهود مصدر الفتن والثورات وحين تكون الأزمات الاقتصادية مؤثرة في كل مكان يمهد اليهود السبيل للانحلال الخلقي وخاصة بمساعدة النساء اليهوديات المتنكرات في صور فرنسيات وإيطاليات ومن إلهين. فهؤلاء النساء أصبحن ناشرات للخلاعة والتهتك في حياة المتزعمين لرؤوس الأمم. هذه هي الصهيونية أهم ركيزة من ركائز الغزو الفكري للإسلام والمسلمين تتخذ إلى ذلك كل سبيل وتسعى في كل مجال مشوهة للإسلام، تاريخه وحضارته ومفسدة للأخلاق

ومصطنعة للمشكلات والمتاعب ومثيرة للفتن والثورات ومقتضية للعديد من المسلمين تضمهم على وعي منهم أو غفلة إلى مؤسساتها ومنظماتها كالماسونية والروتاري وسائر الأنشطة الاجتماعية والرياضية وقد كانت ولا تزال معملًا لتفريغ الأفكار والفلسفات الهدامة والمذاهب الضالة المنحرفة مع توجيه تلك الضربات إلى العالم الإسلامي وهي في سبيل ذلك تتعاون مع النصارى لدرجة أن كثيراً من اليهود يدخلون في أديان مختلفة عن دينهم خداعاً من أجل الوصول لأهدافهم[1].

---

(١) الغزو الفكري، د. علي عبد الحليم محمود، ص١٣٣.

تعاون الاستعمار مع الصهيونية والتبشير ضد الإسلام

لا شك أن تحالف الاستعمار مع الصهيونية والتبشير والاستشراق من أجل أن يصل إلى أهدافه وهي الاستيلاء على العالم الإسلامي استيلاءً سياسياً حضارياً إن لم يتيسر الاستيلاء العسكري.

واستطاع الاستعمار بتفوقه وسلطانه حماية المبشرين وتبرير إفسادهم كما استطاع أن يخرب في البلدان الإسلامية ما وسعه التخريب كما استطاع أن يشجع الكثير على اعتناق الدين المسيحي وحمل الجنسية الأجنبية كما استطاع أن يصبغ حياة المسلمين بصبغة الحضارة الغربية فيحول كثيراً من المسلمين إلى أعوان وأتباع لهذه الحضارة وأهلها.

وعدو آخر ظهر بأفكار جديدة للإنسان وهو الشيوعية والإنسان في ظل هذا النظام مسحوق فعلاً

بين المطرقة والسندان، مطرقة الفئة الحاكمة المختارة من الحزب الواحد وسندان القاعدة الواسطة للحزب. ولما كانت اليهودية اللئيمة أم الشيوعية فإن الشيوعية برعاية أمها قد استطاعت أن تتجزأ أجزاء يحتفظ كل جزء بخصائص الأصل وإن كان قد نشب بين هذه الأجزاء صراع رهيب يراد منه القضاء على الإنسانية وليس على المتصارعين أنفسهم.

جاءت الشيوعية سنة ١٩١٧م وسيطرت على روسيا وعلى بعض الأقطار الإسلامية التي كانت تحت الحكم القيصري ومع أن (لينين) أعلن للمسلمين أنه سيمنحهم الحرية إلا أنه كذب وقاوم المسلمون الحكم الشيوعي الذي وجه إلى المسلمين أعنف الضربات حتى غادر الملايين أوطانهم فراراً بدينهم وحريتهم ولجأوا إلى الأقطار الإسلامية كالقارة الهندية وأفغانستان وإيران وبعض بلدان العالم العربي.

ولجأ عشرات الآلاف منهم إلى مكة المكرمة وإلى الطائف وإلى المدينة المنورة وازدحم حي

[المسقلة] بآلاف اللاجئين من بخارى وطشقند والقوقاز.

ولم يقف طمع الشيوعية عند الأقطار الإسلامية الأخرى وفي كل بلد دخلته الشيوعية كانت شديدة الوطأة على المسلمين فعندما تحول الحكم في أثيوبيا (الحبشة) إلى الشيوعية ضربت المسلمين في المقاتل وضربت مسلمي أريتريا وكذلك فعلت في فيتنام الجنوبية وفي تركستان التي تقاسمتها الشيوعية الروسية مع الشيوعية الصينية والآن تستكمل روسيا مخططها للاستيلاء على أفغانستان بادئة بالحكومة العميلة حتى يمتد نفوذها لأكبر مناطق العالم الإسلامي كلما أمكنها ذلك[١].

وعلى مر الأيام زاد طمع الشيوعية في العالم العربي عندما فتح جمال عبد الناصر أبواب العالم العربي للشيوعية التي دخلته دخول الصديق وأصبح للشيوعية نشاط في كل أقطار العروبة والإسلام في

---

(١) كتاب الشيوعية، أحمد عطار، ص٨.

أفريقيا ودول أمريكا اللاتينية. أما أقطار الإسلام فهي أكثر أقطار الأرض تعرضاً لضرب الشيوعية حتى جاء دور أفغانستان فالتهمتها في بضعة شهور وضربت المسلمين الذين قاوموا الزحف الشيوعي ضرباً مدمراً فقد استعملت قنابل النابالم والغازات الخانقة المحرمة دولياً ولم تبال بالقيم الإنسانية ولا استنكار العالم.

ويجب على العالم الإسلامي أن يتنبه لحقيقة هامة هي أن روسيا لم تغزو أفغانستان إلا تمهيداً للانتقال إلى البحار الدافئة والخليج العربي ودجلة والفرات وقد أعدت العدة بإقامة أنظمة حكم شيوعية في بعض بلدان الجزيرة العربية وبلدان أفريقيا المجاورة لجزيرة العرب وهذا كله يحتم على العالم الإسلامي بما فيه العرب أن يتحد ويستعد ويترك ما بين أقطاره من خلاف حتى لا يكون فريسة الشيوعية.

أما المسلمون في روسيا نفسها فقد اختلف في عددهم بين الستين والمائة مليون كما اختلفوا في

عدد المساجد هناك وقال بعضهم أنها تبلغ خمسة وعشرون ألفاً. وحقيقة أنه في الربع الأخير للقرن وجدنا الإسلام يستيقظ وكانت يقظته تهديداً لمذاهب (الهدم) التي اتخذت لحرب الإسلام أساليب جديدة. فزعمت الشيوعية والنصارى واليهود أنهم مسلمون جاءوا بما سموه (تنقيح) الإسلام وأرادوا منه تفريغ الإسلام من محتواه الحقيقي الأصيل.

ومشاكل كل قطر عربي أو إسلامي في الواقع تشغله عن مشاكل القطر الآخر ولا يسعه أن يقدم معونة فعالة لأن الشرق والغرب يتحدان حينئذ في ضربهما.

وأصل فكرة الشيوعية نحو شاذ غريب نجم عن تفاعل عناصر متعددة وأسباب مختلفة اجتمعت للشيوعية في أوربا الغربية في القرن التاسع عشر الميلادي. ومن المصادفات العجيبة اجتماع العقلية اليهودية المتمثلة في (كارل ماركس) مع التعصب الإنجليزي للحرية الفردية والحرية الفكرية مع الثورات الفرنسية الكبرى مع الفلسفة الألمانية كلها

تجتمع لتكون النظام الشيوعي. ولا شك عندنا أن الفكر اليهودي الناقم على الإنسانية كلها هو أصل الفكرة الشيوعية التي تتفق معه في الأصل والمنزع[1].

وتقتضينا المناسبة، حين نتحدث عن الشيوعية أن نذكر أن الإسلام ينفرد بين كل ديانات السماء والأرض ومذاهب الاجتماع بسمات نفتقدها فيها فالإسلام دين الإنسانية والأخلاق وطهارة النفس وكل الجوارح والحواس والعدالة والحق والخير والفضيلة والواجبات وهو الدين الذي يسوي بين الحاكم والمحكوم والغني والفقير في الحقوق والواجبات ويساوي بين الجميع في فرائض التكاليف والعبادات ولا يميز فرداً على فرد إلا بقدر ما يفعل من الخير لنفسه ولمجتمعه وللإنسانية وليس واقع المسلمين في هذا العصر حجة على الإسلام الذي لا يحكم به إلا في المملكة العربية السعودية. وتحكيم الإسلام فيها برهان على صلاحيته للحكم في هذا الزمان وفي كل مكان.

---

(١) كتاب الشيوعية، أحمد عبد الغفار عطار، ص٢٩ ـ ٣١.

فالإسلام يمكن الناس من مواجهة أحوالهم المختلفة وظروفهم المتطورة بما يناسبها دون جمود أو تعطيل لأنه يساير الحياة روحها ونظامها ووجودها.

أما الفكر الشيوعي فخلاصته أن الناس ليسوا أفراداً وإنما هم طبقات ولا عبرة بوجود الفرد ولا كيان للفرد إنما الكيان للطبقة.

وعندئذ يبدأ الصراع بين الطبقات الكادحة والطبقات المستغلة وهو صراع غير متكافئ لنقص الوعي عند الكادحين ولتظافر قوى المستغلين المتحكمين ذوي السلطة فيقومون بتخديرهم بالدين ونعيم الآخرة تارة وبالوطنية والنخوة القومية تارة أخرى كل هذه الأشياء أفيون لتخدير الجماهير الكادحة حتى تنام عن واقعها الأليم وترضى بالنعيم الموعود.

فلا مكان للعدل ولا وجود لمعناه فإن الصراع الطبقي حرب فناء وإفناء وليس منافسة رياضية يلتزم المتنافسان فيها بقواعد اللعبة ولوائح اتخاذ الرياضة المبنية على العدل والحق.

أما الإسلام فهو يرفض النظرة الشيوعية إلى الحكومة جملة وتفصيلاً لأن الشيوعية مذهب مجرد من كل قوانين الضمير والأخلاق ولأنه مذهب جاء لهدم الأديان والقيم الإنسانية. ومنذ قامت الشيوعية والعالم يرى ويسمع عن ضحاياها بالملايين وعن المنفيين في روسيا إلى سيبريا وما قامت حركة شيوعية في أي بلد إلا على أنهار من الدم فالعنف والطغيان طابع الشيوعية وطبيعتها.

وموجز القول: أن الشيوعية نقيض الإنسانية وهي العدو الأكبر للإسلام. وهو المذهب الذي تفتقد فيه الإنسانية فنفقدها فكما أن الشر لا خير فيه فكذلك الشيوعية لا إنسانية فيها على الإطلاق[١].

---

(١) كتاب الشيوعية، أحمد عطار، ص٦٣ ـ ٦٧ ـ ٧٠.

الخاتمة

أ ـ موقف المسلمين من التنصير.

ب ـ واجبهم نحو التنصير.

أولاً: موقف المسلمين من التنصير:

تقوم بين حين وآخر في مختلف البلاد الإسلامية نهضات إصلاحية تتبنى الدعوة إلى الإسلام والعمل على نشر علومه لإبراز عنصر التآخي بين علوم الدين وعلوم الدنيا ولتوضيح قيمة الثقافة الإسلامية المفترى عليها من أجنحة التنصير الثلاثة، التبشير والاستشراق والاستعمار ولتنقية هذه الأصيلة مما يلحقه بها دعاة التنصير. وتجاهد هذه النهضات جهاداً مريراً حتى تتبنى مؤسساتها الصغيرة بالكفاح والعرق ولكن للأسف دون أن تلقى تأييداً أو مساعدة ذات بال من ذوي الغنى والسلطان. حتى إذا بدأت تقف على أقدامها وتنشط في تحقيق بعض غاياتها تفتحت عليها عيون أعداء الإسلام من النصارى وأعوانها. فأخذت تراقب أعمالها بدقة وتتابع تحركاتها. ثم تعمل على إحباط مشروعاتها بمختلف الوسائل المقنعة من داخلها ومن خارجها

وقد تدفع لمحاربتها هيئات أخرى من ضمن صفوف المسلمين كما يسلطون عليها بعض الدوائر ذات السلطة في الدولة.

وتكون محاربتها:

١ - بسد الموارد عنها حتى تصاب بالفقر المدقع فتتلاشى بنفسها أو تفسد غايتها الأصلية.

٢ - أو يدس فيها أعداء الإسلام عناصر سيئة تغري القائمين عليها بأنواع المغريات.

٣ - أو تسد أبواب العمل والرزق في وجه المنتسبين إليها.

٤ - أو تسليط أنواع الاتهامات ضد القائمين عليها حتى لا يكونوا محل ثقة الناس.

وأخيراً قد يعملون على هدمها بشكل سافر وقح لا مبرر له بحال. وتتعاون أجهزة الغزاة كلها على ذلك مهما كانت فيما بينها متنازعة المصالح أو مختلفة المبادئ وهكذا يعملون كلما نشطت حركة إسلامية واعية في بلد إسلامي فأجهزتهم واقفة بالمرصاد لكل نشاط إسلامي صغيراً كان أو كبيراً

ففي الحين الذي تتلقى فيه المؤسسات التبشيرية المساعدات الضخمة من مختلف الدول الاستعمارية نجد الباحثين الإسلاميين يجمدوا أقلامهم حينما تقف في وجوههم عقبات الشر أو تضطرهم ضرورات العيش إلى قتل أوقاتهم في أعمال الكسب التي تحجبهم عن التفكير الحر والإنتاج الرفيع.

ولو كانت المؤسسات الإسلامية تتلقى جزءاً من ألف مما تتلقاه المؤسسات التبشيرية لاستطاعت أن تخدم القضايا الإسلامية المختلفة خدمات جليلة.

إلا أن التجربة أثبتت أن بعض الدعاة المسلمين البسطاء الذين يعملون بدافع ذاتي من قلوبهم يعادل عشرات المبشرين المعدين إعداداً علمياً عالياً وذلك لأن علماء المسلمين يتقون بالله العلي العظيم أنه لن يمكن عدوهم من النيل بتراثهم الإسلامي لأنه تكفل بحفظ كتابه وبقي على المسلمين أن يتخذوا الخطط والوسائل لحماية تراثهم العظيم. إلا أن الحقيقة التي لا يمكن إنكارها أن معظم طلائع الأجيال الحديثة قد تأثرت بحملات

الغزو الفكري والنفسي والاجتماعي والسياسي والسلوكي الذي غزانا به أعداء الإسلام بمختلف أشكاله، لذلك فإن العمل الإسلامي الحق يتطلب من طلائع الوعي الإسلامي حركة فعالة متزنة تتسم بطول الصبر وسعة الصدر وعدم استعمال النتائج والتخطيط للأمد البعيد ولا ننسى نقطة هامة هي تبريد حرارة الخلافات المذهبية والعمل على تقريب وجهات النظر بطريق لا جدال فيها ولا مشاحنات عن طريق الكتابات المتسمة بالاعتدال والرفق واللين وعرض الحق مقترناً بالدليل دون إبراز صورة التعصب له مع فضح دسائس أعداء الإسلام[١].

(١) كتاب أجنحة المكر الثلاثة، ص٦١١ ـ ٦١٢.

ثانياً: واجب المسلمين نحو التنصير:

من العرض السابق يتبين لنا ما قام ويقوم به المبشرون والمستشرقون من تدبير المؤامرت ضد الإسلام والمسلمين وتشويه الصورة المشرقة للدين الإسلامي الحنيف والرسالة المحمدية وذلك بنشر الأضاليل حتى يفقد المسلمون الثقة بأنفسهم فيعتقدون أن الإسلام هو سبب انحطاطهم وأن المبشرين والمستعمرين أصابع التنصير وتعاليمهم هي الطريق الوحيد لنهضتهم ورقيهم.

لكن سرعان ما استيقظ المخلصون من رجال الإسلام فأرشدوا إلى هذه الهاوية التي يكاد المسلمون يتردون فيها فبدأ المسلمون يحسون ويتألمون ثم وقفوا يعملون لطرد المستعمرين وأذنابهم من المبشرين وبعد ذلك اتجهوا إلى ماضيهم المجيد ورجعوا إلى كتابهم الرشيد فبدأت

في كل قطر يقظة وفي كل أمة إسلامية نهضة ولكن هل نكتفي بذلك بحجة أن الإسلام له من القوة الذاتية ما يستحيل على أعدائه أن يؤثروا فيه لصفاء جوهره وقدسية تعاليمه وقوة حجته وسلامة منطقه ـ الجواب ـ لا نكتفي بذلك.

إن واجب المسلمين يقتضيهم القيام بنشر الإسلام والدعوة إليه ولأن الرسالة الإسلامية موجهة إلى البشر جميعاً وهي رغم ثرائها بالحجج والبراهين فهي دائماً في حاجة إلى من يقومون بعرضها بأسلوب يتحاشى مع كل بيئة ويتخذ من الوسائل ما يتوفر لكل عصر.

والقرآن الكريم قد أهاب بالرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه بأن يبذل ما في وسعه لنشر الدعوة بين الأمم والمسلمون مأمورون تبعاً له ﷺ بحمل الشعله وتبليغ الرسالة الإسلامية ويمكن تلخيص واجب المسلمين حالياً في مواجهة النصرانية وفي نشر الدعوة الإسلامية وفي اتباع الآتي:

١ ـ أن يتمسك المسلمون بتعاليم الإسلام وآدابه حتى يضعوا المثل الكامل والقدوة الحسنة لجذب الناس إليه وهذه مهمة العلماء المسلمين والوعاظ وأئمة المساجد وأولياء الأمور والآباء والأمهات والعمل على ربط البيت المسلم بالمسجد.

١ ـ تطوير مناهج التعليم في مراحل التعليم المختلفة مما يجعلها تتلائم مع طبيعة العلوم الإسلامية واستيعابها مع الاهتمام بدراسة القرآن الكريم وحفظه حتى ينشأ جيل يفهم الإسلام ويتأثر بتعاليمه.

٣ ـ العمل على إزالة العوامل والأسباب التي فرقت بين المسلمين وجعلتهم أحزاباً مختلفة ومذاهب شتى سياسية واجتماعية وذلك يكون بالرجوع إلى جوهر الإسلام وعماده القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وأعمال الخلفاء الراشدين المهديين بعد رسول الله ﷺ.

٤ ـ يجب على الحكومات الإسلامية أن تتجه

نحو التشريع الإسلامي لأن فيه أسباب النهضة والرقي وأن تطهر قوانينها وتشريعاتها مما علق بها من قوانين ومواد أجنبية تختلف عن بيئتها وطباع أهلها فإذا تحقق ذلك تحول المجتمع في فترة وجيزة إلى مجتمع إسلامي صحيح في نظمه وأخلاقه.

٥ ـ العمل على تطوير الكتب الدينية والمؤلفات الإسلامية حتى يظهر الإسلام بصورته الجميلة المبسطة السهلة لأن الإسلام دين يخاطب العقل ولا يدعو إلى الانطلاق دون التجارب الأخرى والحضارات العلمية المختلفة. بل ويدعوا إلى القراءة والعلم فإن أول سورة نزلت في القرآن الكريم سورة العلق قال تعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾[1].

وما دام باب البحث والاجتهاد في علم الفقه

---

(١) سورة العلق: الآية ١ ـ ٥.

مفتوحاً أمام العلماء المتخصصين لذلك كان من اليسير حل المشكلات الكبيرة اجتماعية واقتصادية والتي تعرض على حياة الناس ولم تكن معروفة في العهد الإسلامي الأول بحيث لا نجعل للتنصير مدخلاً في حل مشاكلنا.

٦ ـ تثقيف الدعاة المسلمين المزمع إرسالهم إلى الدول الأجنبية وتطوير مهمتهم حتى يكونوا على المستوى الذي يليق بالإسلام وأن يكونوا على دراية بكيفية نشر الدعوة الإسلامية واللغة العربية على أوسع نطاق لأنه للأسف أغلب الدعاة أرسلوا فقط لتعليم الحساب والخط وقواعد الإملاء واللغة العربية.

٧ ـ إنشاء المنظمات الإسلامية المختلفة التي تخدم الإسلام على أن تكون مهمة هذه المنظمات منحصرة في النقاط التالية:

أ ـ كشف أساليب التبشير المسيحي ومؤامرات المبشرين والمستشرقين أولاً بأول والرد عليهم وعلى افترائهم وأضاليلهم ضد الإسلام والمسلمين ونشر هذا الرد على العالمين.

ب ـ القيام بالدعوة الإسلامية في جميع أنحاء العالم وهذه يجب أن يحشد لها الشخصيات المفكرة الواعية وأن توضع تحت تصرفها الامكانيات الواسعة من المال ووسائل الإعلام والدعاية والنشر.

وأن تعمل الحكومات الإسلامية بتقديم المساعدات الفعالة لمنظمات الدعوة الإسلامية سواء داخل البلاد أو خارجها وكذلك تشكيل جهاز نسائي للدعوة الإسلامية يضم خريجات الكليات الدينية الإسلامية للنفاذ إلى البيوت الإسلامية لإرجاع النساء المسلمات إلى تعاليم دينهم وبذلك لن تتمكن النساء المبشرات والمسحيات من النفاذ إلى عقيدتهن.

٨ ـ على الدول والحكومات الإسلامية إعادة النظر في مراكز التطبيب والتمريض كالمستشفيات والمستوصفات وكذا دور العلم من مدارس وجامعات وكذا الأندية الاجتماعية والرياضية وكذا دور الضيافة والنشر التي أقامها المبشرون.

٩ ـ تنظيم الدعوة الإسلامية ونشرها له ميدانان تربتهما من أخصب الترب لنمو الإسلام في أي مكان على سطح الأرض وهذان الميدانان هما:

أ ـ نشر الدعوة الإسلامية بين الوثنيين والذين لا دين لهم بل يعتنقون العادات والتقاليد وهؤلاء ينتشرون في آسيا وأفريقيا وأستراليا فيمكن دراسة طبيعة حياة هؤلاء الناس لاتخاذ الأسلوب المناسب لهدايتهم إلى نور الإسلام وادخالهم حظيرة الإيمان بالحكمة والموعظة الحسنة والسلوك الحسن من قبل الداعية المسلم بالمعاملة الرقيقة فضلاً عن إخلاصه في نشر الدعوة الإسلامية مع التعاون مع الغيورين من التجار والموظفين المسلمين المنتشرين في كل مكان فإن ذلك بإذن الله سوف يأتي بأحسن النتائج وفي وقت قصير بدخول هؤلاء الوثنيين ومن لا دين له إلى حظيرة الإيمان بالله واعتناق الإسلام لأن المتتبع لسير انتشار الدعوة الإسلامية في آسيا وأفريقيا يجد أن انتشار الإسلام في هذه الجهات يرجع إلى التجار المسلمين الذين تجولوا في المناطق التي يسكنها البدائيون الوثنيون لأن المسلم مبشر بطبيعته وسلوكه القويم.

ب ـ عرض الإسلام ودعوته على الأمم المسيحية في أوروبا وأمريكا فإن تقدم العلوم

وانتشار المعارف هناك لا بد وأن يظهر ما يتميز به الإسلام من رقي في نظامه وسمو في تعاليمه وتشريعه. فلو اتجه إليهم كبار العلماء لوجد النصارى أن هذا الدين يتماشى مع حضارتهم وقوتهم المادية فهو لا يتنافى مع العلوم التي حققوها ولا مع التشريعات التي يسيرون عليها بل سيجدون عند اعتناقهم له علاجاً شافياً لما يشعرون به من أمراض اجتماعية ونفسية لأن الإسلام يقف بأحكامه ونظمه وقفة تتيح للنظم الاجتماعية المتناقضة أن تجد في الدعوة الإسلامية منقذاً لها من المادية التي تسيطر على القوتين اللتين تتنازعان العالم حالياً مادية الشيوعية ومادية الرأسمالية.

١٠ ـ يجب تحصين الدعوة الإسلامية وذلك بإنشاء هيئة إسلامية علمية في كل دولة إسلامية مع التنسيق فيما بينها وتكون مهمتها:

أ ـ إحصاء أغاليط وأضاليل المستشرقين وجمعها في سفر واحد يتضمن الردود المقنعة التي كتبت عليها.

ب ـ تعقب الكتب التي يصدرها المبشرون والمستشرقون والرد عليها.

جـ ـ إيجاد حلول علمية لمشكلة إرسال البعوث العلمية التي ترسلها الجامعات العربية إلى بلاد الاستشراق في أوربا وأمريكا لأن هذه البعثات تعود محملة بالآراء الضعيفة الفاسدة ومن هنا تتسرب نظريات المستشرقين المغرضة إلى قاعة الدرس في الجامعات العربية فتعمل على تحويل العقول والقلوب. ولقد فطن الأزهر إلى خطر تلك البعثات فابتعد بمبعوثيه عن مدارس الاستشراق في أوربا وأمريكا اتقاء لشرها وضررها فعلى الأقل يجب على الدول الإسلامية ألا تقوم بإرسال المبعوثين إلا بعد تمكينهم من إشباع عقولهم بالآراء السليمة والاطمئنان على عقيدتهم فلا يكون هناك مجال لتسرب آراء المستشرقين[١].

وختاماً تُوجه لجنود التنصير كلمة صدق أنه

---

(١) كتاب التبشير والاستشراق، الدكتور محمد عزت، ص٣٦٣.

ليس بين الله وبين أحد من عباده نسب ولا قرابة تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً فالناس كلهم عباده ولكن لله أوامر ونواهي وعلى مقدار اتباع العبد لتلك الأوامر واجتنابه لتلك النواهي يكون له نصيب من التقوى وعلى مقدار نصيب العبد من التقوى يكون نصيبه من إكرام الله وتأييده وما النصر إلا من عند الله يؤتيه من يشاء وفق حكمته وحكمته قضت بنصر المؤمنين. قال تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[1].

---

(١) سورة الروم: الآية ٤٧.

المراجع

١ - أجنحة المكر الثلاثة، د. عبد الرحمن حسن حبنكه.
٢ - التبشير والاستشراق، محمد عزت.
٣ - الغزو الفكري، د علي عبد الحليم محمود وزملائه.
٤ - التبشير والاستعمار، د. مصطفى خالدي، د. عمر فروخ.
٥ - الاستشراق والمستشرقون، د مصطفى السباعي.
٦ - الإسلام في أندونيسيا، محمد ضياء شهاب.
٧ - لمحات في الثقافة الإسلامية، عمر عودة الخطيب.
٨ - حقائق عن التبشير، عماد شرف.
٩ - حصوننا مهددة من داخلها، د. محمد محمد حسين.
١٠ - معاول الهدم والتدمير في النصرانية والتبشير.
١١ - الشيوعية خلاصة كل ضروب الكفر، أحمد عبد الغفور عطار.

الفهرس

الموضوع	صفحة